الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة

كتب بها أبو السري إبراهيم بن محمد الشنتريني

بسم الله الرحمن الرحيم

فتق الله بالحكمة ذهنك، وشرح بها صدرك، وأطلق بالعلم لسانك، وشرّف به بيانك، وصل إلى كتابك العجيب الذي استقصيت فيه بجوامع كلمك جوامع أسباب البلاغة، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة، وسألتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته، وحدود فخامة المعنى وجزالته، ومناسقة نظم الكتاب ومناكلة نثره، وحسن افتتاحه وختمه، وانتهاء فصوله واعتدال وصوله، وسلامتها من الزلل، وبعدها من الخطل، ومتى يكون الكاتب مستحقاً اسم الكتابة، والبليغ مستأهلاً لمعاني البلاغة في إشارته واستعارته، وإلى أي أدواته هو أحوج، وبأي آلته سواعد إذا حصحص الحق، ودعي إلى السبق، ألفيته وأنا راسم لك إدراك ذلك أجمع، أكثر من آمالك، وأبعد عن مجاراة أعمالك، وإن طولت في الكتاب، وعرضت واطنبت في الوصف وأسهبت، وسأقتص على نفسي في الجواب على قدر استقصائك في السؤال، وإن أخل بها البيات الحال، وسكون الحركة، وفتور النشاط، وانشغال الروية، وتقسم الفكر، واستراك القلب، والله المستعان، واعلم أيدك الله أن أدوات ديوان جميع المحاسن وآلات المكارم

الصفحة الأولى من المخطوطة

وكانوا يكرهون ان يزيد منطق الرجل على صفته فقال له السائل بين
هذا يريد قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت
فقال بين هذا يريد فقال فكانك تريد تحبير الخط في حسن ابهام
انك ان اردت تقرير الحجة اللدنية في عقول المكلفين وتخفيف المؤنة
على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالالفاظ
المستحسنة في الاذان المقبولة عند الاذهان رغبت في سرعة استجابتهم
وتفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت
سريع وتيت قليل الخطاب واستوجبت من الله سبحانه وتعالى الثواب
الجليل بن احمد كل ادى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت
ان يكون لفظك لمعناك طبيقا ولكل الحال مقاما واجعل كلامك
لا ولا مشابها ومواردا ومصادر موازنا فاعدل وانصف
ان تكون لكلامك منتهيا ان ظرف ولفظك مستوفيا وان
لطف بموانعة الملك ولتصرفا ادعك معك فاعمل ان
شاء الله وهذه الرسالة عذرا لانها بكر معان لم تفترعها بلاغة
ناطقين ولا لمستهاك المفوهين ولا غاصت عليها فطن
المتكلمين ولا سبق الى الفاظها اذهان ناطقين فاجعلها مثالا
بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرتك في ليلك ونهارك
بعطل عليك سائر ما تنتحلها وتنتحلك سائر ما تحملها فهو دليلك
على كل بلاغة وتدلك على صحيح رشدها وتصدرك وقد تقع

الصفحة الثانية من المخطوطة

فلموالك بينابيع نحر احسانها ان شاء الله عز وجل والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتب به وارسله جنيد حسباً الى ابن العيد المرسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحا باسمه واستنجاحا ببركته والحمد لله المبتدئ بالنعم
المتفرد بالعظم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين
وتلى الحسنات المبرات السيئات المعادل في افعاله الصادق في
اقواله خالق الخلق ومبديه ومعيده ومنشئه والصلوات على محمد
وابراره عترته واهل بيته صلاة ترضيه وتقربه وتدنيه وتزلفه
وتحظيه وكتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ومدد عزته وادام
كفايته وسعادته وجعلني فداءه وقدمني قبله على الصحة والحقيقة
وتجد القصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة
والمحل تنقص جنابه وتحيب مساعيه ولا كان قال بعضهم وقد جاء
صديقا كيف تجدك حفظني الله فداك وهو يقصد تجباه ويريد
تملقا ويظن انه قد اسدى جميلا يشكره صاحبه ان نهض واستقل
ويكافئه عليه ان اغاق وابل عن سلامة تامها يخصه حضرته
وعافية تطامها بالشرف بشريف عزته ويمون بقيته وطلعته
ويعلم الله الكريم تقدست اسماؤه اني لو حنت اليه ادام الله تأييده
حنين الوالد الى بكره او ذات الفرخ الى وكرها او الكاتة سيالي

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

١- الرسالة العذراء فى : موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها «أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيبانى » ، إلى « إبراهيم بن محمد بن المدبر» [١] .

٢- فتق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرَّف به بيانك . وصل إلىَّ كتابك العجيب الذى استفهمتنى فيه - بجوامع كلمك - جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتنى عن غوامض آداب أدوات الكتابة وسألتنى [٢] أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشاكلة سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوله ، وسلامتهما من الزَّلل ، وبعدهما من الخَطَل [٣] ، ومتى يكون الكاتب مستحقًا اسم الكتابة ، والبليغ مسلَّمًا له معانى البلاغة ، فى إشارته، واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوج ، وبأى آلاته هو أعمل ، إذا حصحص الحق [٤] ودُعِى إلى السبق وفهمته .

---

(١) جاءت البسملة بعد هذه العبارة فى المخطوطة ، ولكنى قدمت البسملة لتبدأ بها الرسالة . والنص فى رسائل البلغاء : ١٧٦ « الرسالة العذراء فى : موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدبر » ، وفى الهامش : « منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ : « طاهر الجزائرى » ، وقد طبقناها على الأصل ، ولم نظفر بنسخة ثانية لها، وقد أخطأ الأستاذ : « محمد كرد على » فى نقل اسم مؤلف الرسالة - كما هو واضح - وتبعه فى هذا الخطأ كل من نشر الرسالة بعد ذلك .

(٢) « الواو » : ساقطة من جميع مطبوعات الرسالة . (٣) الخطل : الخطأ .

(٤) حصحص الحق : وضح واستبان .

٣- وأنا راسم لك ـ أيَّدك الله ـ من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويعبر عن جملة سؤالك ، وإن طولت فى الكتاب وعرضت ، وأطنبت فى الوصف وأسهبتُ ، ومستقص على نفسى فى الجواب ، على قدر استقصائك فى السؤال ، وإن أخلَّ به التياث الحال [١] ، وسكون الحركة ، وفتور النشاط، وانتشار الرويَّة ، وتقسُّم الفكر ، واشتراك القلب، والله المستعان.

* ضرورة الإخلاص فى صناعة الكتابة *

٤- اعلم ـ أيَّدك الله ـ أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم (٣٣٥-ب) طاعةٌ [٢] منقادة لهذه الصناعة التى خطبتها ، وتالية تابعة لها، وغير خارجة إلى جحد إحكامها، ولا دافعة لما يلزمها الإقرار به لها ، إضرارًا منها إليها ، وعجزًا عنها ، فإن تقاضَتْك نَفْسُك علْمَها ، ونازَعَتْك همَّتُك إلى طلبها ، فاتخذ البرهان دليلاً شاهدًا ، والحق إمامًا قائدًا ، يقرب مسافة ارتيادك ، ويسهل عليك سبل مطالبها ، واستوهِبِ الله توفيقًا تستنجح به مطالبك ، واستمنحه رشدًا يقبل إليك بوجه مذاهبك، فاقصد فى ارتيادك، وتأمل الصواب فى قولك وفعلك، ولا تسكن إلى جحود قصد السابق باللَّجاج ، ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخفَّ بالحكمة ولا تُصَغِّرْها حيث وجدتها ، فترحل نافرة عن مواطنها من قلبك ، وتَظْعَنَ شاردة عن مظانِّها [٣] من بالك ، وتتعفَّى [٤] بعد العمارة من قلبك آثارها ، وتتطمِسَ بعد الوضوح أعلامُها .

---

(١) التياث الحال : اختلاطها .

(٢) الطاعة : مذكر الطائعة ، وفى جمهرة رسائل العرب : ١٧٧/٤ «طائعة»

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « مكانها » .

(٤) تتعفى : تندرس وتتمحى .

٥- واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف ، وطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء ؛ فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلب [١] أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، فى تلقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسِّيَر والأسمار [٢] ، ما يتسع به منطقك ، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك [٣].

٦- وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، [٤] ، ومعانى العجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم (٣٣٦-أ) وعهودهم وتوقيعاتهم ، وسيرهم ومكايدهم فى حروبهم ، بعد أن تتوسط فى علم: النحو ، والتصريف ، واللغة ، والوثائق والشروط ، ككتب السجلات والأمانات ، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب ، وتمهَّر فى نزع آى القرآن فى مواضعها ، واجتلاب الأمثال فى أماكنها ، واختراع الألفاظ الجزلة، وقرض الشعر الجيد و (معرفة) [٥] علم العروض ، فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر ، مما يزين كتابتك ، ما لم تخاطب خلفية أو ملكًا جليل القدر ، فإن اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء والجلة الرؤساء؛ عيب واستهجان للكتب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض

---

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « وطلبت » .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٧ «الأسماء» . (٣) العقد الفريد : ٤ / ١٧٥ .

(٤) فى الأصل المخطوط : « ومحاربات العرب » وفى العقد الفريد: ٤/١٧٥ « ومجاوبة العرب».

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

للشعر والصانع له ، فإن ذلك مما يزيد فى أبهته [١] ، ويدل على براعته ، وإن شدوت [٢] من هذه العلوم ما لا يشغلك حمله [٣] وتتقيت من هذه الفنون ما تستعين به على إطالة قلمك ، وتقويم أود بيانك[٤].

* من صفات الكتاب *

٧- بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلو الشمائل ، عذب الألفاظ، دقيق الفهم ، حسن القامة ، بعيدًا عن الفدامة [٥] ، خفيف الروح ، حاذق الحس ، محتنكًا بالتجربة [٦] عالمًا بحلال الكتاب والسنه وحرامهما ، وبالملوك وسيرها وأيامها ، وبالدهور فى تقلبها وتداولها ، مع براعة الأدب ، وتأليف الأوصاف ، ومشاكلة الاستعارة ، وحسن الإشارة ، وشرح المعنى بمثله من القول ، حتى ينصبَّ صورًا منطقية تعرب عن أنفسها ، وتدل على أعيانها : لأن الحكماء قد شرطوا فى صفات الكتاب : طول القامة [٧]، وصغر الهامة [٨] ، وخفة اللهازم [٩]، وكثافة اللحية ، وصدق (٣٣٦-ب) الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وملاحة الزِّىِّ ، حتى قال بعض المهالبة لولده : « تَزَيَّوا بزى الكُتَّاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقة» [١٠] .

---

(١) انظر العقد الفريد : ١٧٥/٤ مع بعض الخلاف فى الرواية ،

(٢) شدوت : أخذت طرفًا من الأدب . (٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « محلُّه » .

(٤) أود البيان : اعوجاجه . (٥) الفدامة : العى .

(٦) المحتنك بالتجربة : الحكيم بسببها ، وفى جميع مطبوعات الرسالة : « محنَّكًا بالتجربة » .

(٧) فى العقد الفريد : ١٧١/٤ ، ونهاية الأرب : ١٢/٧ « من صفة الكاتب اعتدال القامة » .

(٨) الهامة : الرأس .

(٩) اللهازم : عظم ينتأ تحت الأذن ، واحده لهزمة .

(١٠) انظر : عيون الأخبار : ٤٦/١ ، والبصائر والذخائر : ٤٢٨/١ ، والعقد الفريد : ١٧١/٤ ، ١٧٩ ، وبهجة المجالس : ٣٥٨/١ ، ولباب الآداب : ٢٢٩ ، والتذكرة الحمدونية : ٣٤٢/١ رقم : ٨٦٩ .

(ومن كمال آلة الكاتب : أن يكون بهيَّ الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادقَ الحسِّ ، حسن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ، مُسْتَفْرَه المرْكَب ، [1] ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللِّحية ، عظيم الهامة ، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة) [2] .

* منازل المخاطبين ودرجاتهم *

٨- وخاطب كلاً على قدر أبهته وجلالته ، وعلوِّه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام [3] فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دونها ، ولكل طبقة منها درجة ، ولكلٍّ قسمةُ

(١) الفاره من الدواب : الجيد السير ، واستفرهها ، استكرمها ، أى : انتقاها كريمة فارهة .

(٢) زيادة من نهاية الأرب : ٧/١٢ -١٣ ، وجمهرة رسائل العرب : ٤/١٧٨ - ١٧٩، وانظر المزيد من صفات الكتاب لإبراهيم بن محمد الشيبانى ـ أيضًا ـ فى العقد الفريد : ٤/١٧١ .

(٣) فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب : ١٤٠-١٤١ « ومراتب المكاتبين ثلاث : مرتبة من فَوْقَك ، ومرتبة من هو مثلك ، ومرتبة من هو دونك . والمرتبة العليا تنقسم ثلاثة أقسام : فأعلاها مرتبة الخليفة ووزيره ، ومن كان نظير الوزير عنده ، ثم مرتبة الأمراء ومن جرى مجراهم ممن هو من دون الوزراء ، ثم مرتبة العمال وأصحاب الدواوين ، كذا قال ابن مقلة، والواجب أن تجعل للخليفة مرتبة أرفع من كل مرتبة ، وألا يشاركه فيها وزير غيره . والمرتبة الوسطى تنقسم ثلاثة أقسام أيضًا : فأعلاها : مرتبة الشريف من الأصدقاء ، والعالم ، والثانية : مرتبة الشيخ من الإخوان ، الذى يجب توقيره ، وإن لم يكن شريفًا ولاعالمًا ، والثالثة : مرتبة الصديق إذا خلا من هذه الأحوال . والمرتبة السفلى تنقسم ثلاثة أقسام ـ أيضًا ـ فأعلاها : مرتبة من قرب محله من محلك ، والثانية : مرتبة من لك رياسة عليه ، ووليت عملاً هو من رعيتك فيه ، والثالثة : مرتبة الحاشية ، ومن جرى مجراهم من الأولياء والخدم ، ولكل طبقة من هذه الطبقات مرتبة فى المخاطبة ، ومنزلة متى زيد عليها أو قُصِّر بها عنها وقع فى الأمور الخلل، وعاد ذلك بالضرر .

حظٌ لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ، ويَقْلِب معناها إلى غيرها:

(أ) فالطبقة العليا : الخلافة التى أعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسُّلِ .

(ب) والطبقة الثانية : الوزراء والكُتَّاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويَرْتُقُون الفتوق بآرائهم ، ويتجمَّلون بآدابهم .

(ج) الثالثة : أمراء ثغورهم، وقوَّاد جيوشهم (فإنه) [1] يخاطب كل امرئ منهم على قدره ، وبما حُمِّل من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم.

(د) الطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم - وإن كان لهم تواضع العلماء، وحلية الفضلاء - فمعهم أبهة السلطنة ، وهيبة الأمراء [2] .

٩- وأما الطبقات الأربع الأخر : [3] .

(أ) فالملوك الذين أوجبت نعمُهم تعظيمَهم فى الكتب ، وأفضالُهم تفضيلَهم فيها .

(ب) والثانية : وزراؤهم وكُتَّابهم ، وأتباعهم الذين بهم تُقْرعُ أبوابهم ، وبعنايتهم تستماح أموالهم [4] .

(ج) والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقيرهم فى الكتب ، لشرف العلم ، وعلو درجة أهله .

---

(١) زيادة من العقد الفريد : ٤/١٨٠ ، وجمهرة رسائل العرب : ٤/١٧٩ .

(٢) انظر : العقد الفريد : ٤/١٨٠ ، ونهاية الأرب : ٧/١٨٥ .

(٣) فى رسائل البلغاء : ١٧٨ « الأربع الأخرى » .

(٤) تستماح أموالهم : تطلب عطاياهم .

(د) الرابعة : لأهل القدر والجلالة ، والظَّرْفِ والحلاوة ، والعلم والأدب، فإنهم يضطرونك بحدَّة أذهانهم ، وشدة تميزهم وانتقادهم (٣٣٧-أ) (وأدبهم وتصفحهم) [١] إلى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم .

١٠- واستغنينا عن الترتيب للتجار والسوقه والعوامِّ رتبةً ، لاستغنائهم بتجارتهم عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمُهمَّاتهم عن هذه الأدوات [٢] .

١١- ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبُ يجب عليك أن تراعيها فى مراسلتك إليهم فى كتبك ، وتزن كلامك فى مخاطباتهم بميزانه ، وتُعطيَه قَسْمَهُ ، وتُوفِّيَهُ نصيبَه ، فإنك متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير طريقهم (وتسلك بهم غير مَسْلكهم) [٣] وتجرى شعاعَ بلاغتك فى غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك فى غير سِلْكِه [٤] .

١٢- فلا تعتد بالمعنى الجزل [٥] ما لم تُلْبِسْهُ لفظًا جزلاً لائقًا بمن كاتبته ، ومشابهًا لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى [٦] - وإن شرف وصلح - لفظًا مختلفًا [٧] عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عاداتهم ، تهجين للمعنى[٨] ، وإخلال بقدره ، وظلم لحق المكتوب إليه ، ونقصٌ مما يجب

---

(١) زيادة من العقد الفريد : ٤/١٨٠ .

(٢) انظر : العقد الفريد : ٤/١٨٠ -١٨١ .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ٤/١٨١ .

(٤) انظر : العقد الفريد : ٤/١٨١ ، ونهاية الأرب : ٧/١٨٥ .

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « فلا يفيد المعنى الجزل » ، وما أثبته من العقد الفريد : ٤/١٨١ .

(٦) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « وإن إلباسك المعنى » وما أثبته من العقد الفريد : ٤/١٨١ .

(٧) فى العقد الفريد : ٤/١٨١ « متخلفًا » .

(٨) تهجين للمعنى : تقبيح له .

له ؛ كما أن فى اتباع [١] ، تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم، قطعًا لعذرهم ، [٢] وخروجًا من حقوقهم ، وبلوغًا إلى غير[٣] غاية مرادهم ، وإسقاطًا لحجة أدبهم [٤] .

* مناسبة الألفاظ والمعانى للمقامات *

١٣- فمن [٥] الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها فى كتب السادات والأمراء والملوك . على اتفاق المعانى . مثل « أبقاك الله طويلاً» و«عَمَّرَك مَليًا » ، وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : «أطال الله بقاءك » ، وبين قولهم: « أبقاك الله طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنًا ، وأنبه قدرًا ، فى مخاطبة الملوك، كما أنهم جعلوا « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلة فى كتب الظرفاء والأدباء ، من « جُعِلْتُ فداك » على اشتراك معناه (٣٣٧-ب) واحتماله أن يكون فداءً من الخير ، كما (يحتمل أن) [٦] يكون فداء له من الشر ، ولولا أن رسول الله ﷺ قال «لسعد بن أبى وقاص» : « فداك أبى وأمى » لكرهت أن يكتب بها أحد، على أن كُتَّاب العسكر وعوامَّهم قد أُولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم ، وجعلوا هجِّيراهم [٧] فى مخاطبة الشريف ، والوضيع ، والصغير والكبير [٨] .

---

(١) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « امتناع » .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « وضعًا لقدرهم » وما أثبته من العقد الفريد: ١٨١/٤ .

(٣) كلمة « غير » ساقطة من العقد الفريد : ١٨١/٤ .

(٤) انظر : العقد الفريد : ١٨١/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٦/٧ .

(٥) فى رسائل البلغاء : ١٧٩ « ضمن » .

(٦) زيادة من العقد الفريد : ١٨١/٤ ،

(٧) هجيراهم : دأبهم وشأنهم .

(٨) انظر العقد الفريد : ١٨١/٤ .

١٤- ولذلك قال « محمود الوراق » [١] :

كُلّ من حَلَّ « سُـرَّ مَنْ را » من النا س ، وممن يصاحب الأملاكا

لو رأى الكلبَ ماثلا فى طريق قال للكلب : يا جعلت فداكا [٢]

١٥- وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل : « أبقاك الله وأمتع بك » إلا إلى : الحرمة ، والأهل ، والتابع والمنقطع إليك ، وأما فى كتب الإخوان ففير جائز، بل مذموم مرغوب عنه [٣] .

١٦- ولذلك كتب « عبد الله بن طاهر » [٤] إلى « محمد بن عبد الملك الزيات » [٥] .

أَحُلْتَ عَمَّا عَهِدتُ من أَدَبك أم نِلْتَ مُلْكًا فتِهْتَ فى كُتُبكْ ؟

أم هل ترى أن فى التواضع للإخوان نقصًا عليك فى حَسَبكْ ؟

أتعبتَ كَفَّيك فى مُكاتبتى حَسْبُك مما يزيد فى تَعبِكْ

إنَّ جفاءَ كتاب ذى أدب يُكتب فى صَدْره : « وَامْتَعَ بك » [٦]

---

(١) هو : « محمود بن الحسن الوراق النخاس » ، عاش فى بغداد ، شعره كثير ، وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب ، توفى فى حدود سنة ٢٣٠هـ، انظر فى مصادر ترجمته : معجم الشعراء العباسيين : ٥١٠

(٢) انظر : العقد الفريد : ١٨١/٤ . (٣) انظر : المصدر السابق : ١٨٢/٤ .

(٤) هو : « أبو العباس ، عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى » بالولاء ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى ، توفى سنة ٢٣٠ هـ ، انظر : الأعلام : ٩٣/٤ - ٩٤ .

(٥) هو « محمد بن عبد الملك الزيات » ، عالم باللغة والأدب ، ومن بلغاء الكتاب والشعراء ، له ديوان شعر مطبوع بتحقيق : جميل سعيد ، القاهرة ، نهضة مصر سنة ١٩٤٩ م ، وزر «للمعتصم» و «الواثق» ، وحينما مرض الواثق عمل « ابن الزيات » على تولية ابن المعتصم وحرمان المتوكل فلم يفلح، وولى «المتوكل» فنكبه وعذبه حتى مات ببغداد سنة ٢٢٣ هـ ، انظر فى مصادر ترجمته : معجم الشعراء العباسيين : ١٩٦ .

(٦) انظر : عيون الأخبار : ٥١/١ ، والعقد الفريد : ١٨٢/٤ ، وأدب الكتاب : ١٦١-١٦٢ للصولى مع بعض الخلاف .

١٧- فكتب إليه « محمد بن عبد الملك » :

أنكرت شيئاً فلستُ فاعلَهُ ... فلن تراه يُخَطُّ فى كُتُبكْ

فاعْفُ. فَدتْك النفوسُ. عن رجلٍ ... يعيش حتى الممات فى أدبكْ

كيف أخون الإخَاءَ يا أملى ... وكلُّ شىء انالُ من سببِكْ ؟!

إن يك جهلاً أتاك من قِبَلِى ... فعُدْ بفَضْلٍ علىَّ فى أدبك (١)

* صدور كتب السلف *

١٨- (٣٣٨-أ) وأما صدور السَّلَفِ فإنما كانت : من فلان ابن فلان إلى فلان، كذلك جرت كتب رسول الله ﷺ إلى « العلاء بن الحضرمى » ، وإلى «أقيال اليمن » ، وإلى : « كسرى » ، و« قيصر » ، وكتب أصحابه والتابعين كذلك ، حتى استخلص الكُتَّاب هذه المحْدَثات من بدائع الصدور ، واستنبطوا لطيف الكلام ، ورتَّبوا لكلٍّ رتبة ، وجروا على تلك السُّنَّة الماضية إلى عصرنا هدا فى كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا على ذلك المنهاج فى كتب الفتوحات والأمانات والسِّجلات .

١٩- ولكل مكتوبٍ إليه قدرٌ ووزنٌ ينبغى للكاتب ألاَّ يتجاوز به عنه ، ولا يقصر به دونه ، وقدر رأيتهم عابوا « الأحوص » حين خاطب الملوك بمخاطبة العوامِّ فى قوله :

وأرَاكَ تفعلُ ما تقولُ ، وبعضُهمْ ... مَذِقُ الحديثِ ، يقُول ما لا يَفعلُ (٢).

فهذا معنى صحيح فى المدح ، ولكنهم أجلوا أقدار الملوك أنْ يُمدحوا بما

---

(١) الأبيات مع بعض الخلاف فى الرواية فى ديوان الوزير « محمد بن عبد الملك الزيات » : ٥٠ ، والعقد الفريد : ١٨٢/٤ ، وأدب الكتاب : ١٦٢ للصولى .

(٢) انظر : شعر الأحوص الأنصارى : ٢١٤ ، وفى الموضع مصادر تخريج البيت .

يُمدح به العوامُّ ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد . وإن كان مدحًا . فهو واجب على كلٍّ ، والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنوافل ؛ لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزنى بحليلة جارك (●) ، وإنك لا تخون ما استُودِعتَ ، وإنك تصدق فى وعدك ، وتفى بعهدك ، كان قد أثنى بما يجب ، ولكنه لم يصل بثنائه إلى مقصده ، وقال ما (لا) [1] يستحسن مثله فى الملوك » [2] .

٢٠- ونحن نعلم قطعًا [3] أن كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيئًا فهو أمير المؤمنين ، غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكَيْسَ : هو العقل إذا عنوا به (٣٣٨-ب) ضد الحُمْق ، ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت : « إن فلانًا لعاقلٌ » ، كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كيِّس » كنت قد قصَّرْتَ فى وصفه ، وقصرت به عن قدره [4] إلا عند أهل العلم باللغة؛ لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة فى استعمالها فى الظاهر ، مع الحَدَاثة والغِرَّةِ ، [5] وخساسة القدر ، وصِغَر السِّنِّ ، فقد روينا عن على رضى الله عنه أنه تبجح بالكيس [6] حين بنى سجن الكوفة [7] وقال (فى ذلك) [8] :

(●) حليلة جارك : زوجته .

(١) « لا » ساقطة من الأصل المخطوط .

(٢) انظر : العقد الفريد : ١٨٢/٤ .

(٣) « قطعًا » : ساقطة من جميع مطبوعات الرسالة .

(٤) فى العقد الفريد : ١٨٣/٤ « وصَغَّرت من قدره » .

(٥) فى رسائل البلغاء : ١٨٠ « العزة » ، والغرة : الجهل والغفلة فى اليقظة .

(٦) تبجح بالكيس : تفاخر بالعقل .

(٧) كلمة « سجن » ساقطة من رسائل البلغاء : ١٨٠ ، ولم يكن فى زمن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم سجن وكان الناس يحبسون فى المسجد أو الدهليز ، وكان أول من أحدث السجن فى الإسلام على رضى الله عنه وسماه نافعًا ، ولم يكن حصينا ، فكان المحبوسون يهربون منه ، فبنى آخر وسماه مخيسًا . انظر شفاء الغليل : ١٠٩ .

(٨) زيادة من العقد الفريد : ١٨٣/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٤ .

أَمَـا تراني كَـيِّـسًـا مُكَيَّـسًـا [1]

بنيت بعـد نافع مـخـيَّـسًـا [2]

حـصنًا حـصـينًا وأمـيـرًا كـيِّـسًـا [3]

وقال آخر:

مـا يصنعُ الأحـمقُ المرزوقُ بالكَيْسِ

٢١- ونعلم أن الصلاة : رحمة [4] ، غير أنهم قد حرَّموها [5] إلا على الأنبياء ، كذلك روى عن « ابن عباس » رضي الله عنهما وسمع « سعد بن أبى وقاص» أخًا له يلبى [6] ، ويقول : (لبيك) [7] يا ذا المعارج ؛ فقال (الحسن) [8] : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذلك كنا نلبى على عهد رسول الله ﷺ إنما كنا نقول : « لَبَّيك اللهمَّ لَبَّيك » [9] .

٢٢- وكان « أبو إبراهيم المزنى » قال فى بعض ماطالب به « داود بن خلف الأصبهانى » ، فقال : وإن قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله ؛ فانتقد عليه ذلك « داود » ، وقال (فيما رد عليه) : « تحمد الله على أن

---

(١) كيسًا مكيسًا : عاقلاً نافعًا .

(٢) المخيس - بكسر الياء المشددة وفتحها - : السجن ؛ لأنه يخيس المحبوسين ، أى : يذلهم ؛ لأنهم يلزمون نزوله ، وهو اسم السجن الثانى المحكم البناء الذى بناه على بالكوفة .

(٣) ديوان الإمام على : ١١٤ ، وبهامشه مصادر تخريج الأبيات .

(٤) فى الأصل المخطوط : « وحى » وصوابها من العقد الفريد : ١٨٣/٤

(٥) فى العقد الفريد : ١٨٣/٤ « كرهوا الصلاة » .

(٦) فى العقد الفريد : ١٨٣/٤ « ابن أخ له » . (٧) زيادة من جمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٤ .

(٨) كلمة « الحسن » ساقطة من الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٠ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٤ .

(٩) انظر : العقد الفريد : ١٨٣/٤ .

يخرج مسلم [1] من الإسلام ، هذا موضع استرجاع ، وللحمد مكان يليق به! ونحن نقول عند المصيبة [2]: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦].

٢٣- فامْتَثِلْ هذه الرسوم والمذاهب ، واجْرِ على آدابهم ، فلكلٍّ رسومٌ امتثلوها ، وتحفَّظْ فى صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمتها ، وضَعْ كل معنى فى موضع يليق به ، وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تختم به فصولك فى موضع (٣٣٩-أ) ذكر الشكوى ، بمثل : «والله المستعان، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل » ؛ وفى موضع ذكر البلوى : «نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء» ؛ وفى موضع ذكر المصيبة ؛ بمثل ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] وفى موضع ذكر النعم بمثل : « الحمد لله خالصًا ، والشكر لله واصبًا [3] ؛ فإنها مواضع ينبغى للكاتب تفقُّدها ، فإنما يكون كاتبًا إذا وضع كل معنى فى موضعه ، وعلَّق كل لفظة على طبْقها [4] من المعنى ، فلا يجعل أول ما ينبغى له أن يكتب فى آخر كتابه فى أوله ، ولا أوله فى آخره ، فإنى سمعت « جعفر بن محمد الكاتب » يقول : « لاينبغى للكاتب أن يكون كاتبًا حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدِّم آخره » [5] .

---

(١) فى الأصل المخطوط : « مسلمًا» .

(٢) انظر : العقد الفريد : ٤/١٨٤ .

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « واجبًا » ، والواصب : الدائم الثابت.

(٤) طبقها : ما يساويها .

(٥) انظر : العقد الفريد : ٤/١٨٤ ، ونهاية الأرب : ٧/١٨٦ .

* محاكاة ما أتى فى القرآن من الحذف والاتصال *

٢٤- واعلم أنه لا يجوز فى الرسائل (استعمال) [١] ما أتى فى آى القرآن من الاتصال [٢] والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص ؛ لأن الله - سبحانه (وتعالى) - إنما خاطب بالقرآن أقوامًا فصحاء، فهموا عنه - جل ثناؤه - أمره ونهيه ومراده ، والرسائل إنما يُخَاطَبُ بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب ، ولذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب (يكاتب) [٣] على مثل قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [٥] احتاج (الكاتب) [٦] أن يبين (أن معناه : اسأل أهل القرية وأهل العير، و) [٧] بل مكركم بالليل والنهار ، ومثله فى القرآن كثير [٨] .

---

(١) زيادة من : نهاية الأرب : ١٨٦/٧ .

(٢) فى رسائل البلغاء : ١٨١ ، والرسالة العذراء : ١٨ « الإيصال » ، وفى العقد الفريد : ١٨٤/٤، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٤/٤ « الاقتصار » ، وفى نهاية الأرب : ١٨٦/٧ «الاختصار» .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٤) سورة يوسف : ٨٢ .

(٥) سورة سبأ : ٣٣ .

(٦) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٧) زيادة من : نهاية الأرب : ١٨٧/٧ .

(٨) انظر : العقد الفريد : ١٨٤/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٧/٧ .

* ما يجوز فى الشعر دون الرسائل *

٢٥- ولا يجوز فى الرسائل ما يجوز فى الشعر ؛ لأن الشعر موضع اضطرار (والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافى ؛ فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها) [١] فاغتفروا فيه: الإغراب ، وسوء النظم ، والتقديم والتأخير ، والإضمار فى موضع الإظهار (وذلك كله غير مستساغ فى الرسائل ، ولا جائز فى البلاغات) [٢] .

فمن الحذف قول « الحطيئة » :

(فيه الرِّماح وفيه كلُّ سَابغةٍ جَدْلاءَ مَسْرُودَةٍ) من صنع سلامِ [٣]

يريد : « سليمان بن داود »

وكقول الآخر : « والشيخ : عثمان أبى عفان » ، (أراد: عثمان بن عفان)[٤].

وكقول الآخر (٣٣٩-ب) :

وسائلةٍ بثعلبة بن سيْرٍ وقد عَلِقَتْ بثعلبة العلوقُ [٥] .

أراد : « ابن سيَّار »

---

(١) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٢) زيادة من : المصدر السابق : ١٨٤/٤ -١٨٥ .

(٣) ديوان الحطيئة : ٣٦ ، والعقد الفريد : ١٨٥/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٧/٧ .

(٤) زيادة من جمهرة رسائل العرب : ١٨٧/٤ .

(٥) العلوق : المنية ، وفى جمهرة رسائل العرب : ١٨٧/٤ ، و « البيت للمفضل النكرى يذكر أن ثعلبة بن سيار كان فى أسره » .

وكقول « النابغة »

(وكلُّ صَمُوتِ نَثْلةِ تُبَّعيَّةٍ ونَسْجُ سُلَيمٍ كلَّ قَضَّاء ذائِلِ [1] .

يريد : « سليمان »

٢٦- وكذلك ينبغى فى الرسائل ألا يصغر الاسم موضع التعظيم ، وإن كان ذلك جائزًا على مثل قولهم : « دُوَيْهيَّة» و « جُذَيْل » و « عُذيق» [2] .

ومما لا يجوز فى الرسائل : « كلَّمتُ إياك ، وأعنى إيَّاك ».

٢٧- وإساءة النظم فى التأليف فى الشعر كثير ، وتكون الكلمة بشعة حتى إذا وُضعتْ موضعها ، وقرنت مع أخواتها ، حسن حالها وراقت ، كقول « الحسن بن هانئ » :

« ذو خَصرٍ افْلَتَ من كدِّ القُبَلْ » [3]

والكد كلمة مختلفة [4] لاسيما فى (وصف) [5] الرفيق ، والغزل ، والتشبيب ، غير أنها لما وقعت فى موضعها حسنت ؛ كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع فى موضعها نفرت ، قال :

رَأَتْ عارضًا جَوْنًا فقَامت غَريرةً بمسْحَاتها قبلَ الظَّلام تُبَادِرُهْ

(١) ديوان النابغة الذبيانى : ١٤٦ ، وفى رسائل البلغاء : ١٨١ « زائل » ، وصوابها : « ذائل » ، والمراد وصف الدرع بأنها ذائل ، أى : ذات ذيل .

(٢) دويهية ، تصغير : داهية ، وجذيل ، تصغير : جذل ، وعذيق ، تصغير : عذق . انظر العقد الفريد : ١٨٥/٤ .

(٣) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨١ ، والرسالة العذراء : ٢١ « ذو حضر » وصواب ذلك من : جمهرة رسائل العرب : ١٨٨/٤ ، وذو خصر : بمعنى ذو ثغر خصر ، أى: بارد.

(٤) فى جميع مطبوعات الرسالة : « قلقة » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

فأوقع الجلف الجافى هذه اللفظة غير موقعها ، وظلمها إذ جعلها فى غير مكانها ؛ لأن المساحى لا تكون ولاتصلح للغرائر ، وأين كان عن قول الشاعر :

غرائر ما حُدِّثْن يُهْدين أُنْسَهُ ... فما فوقه منهن غير غرائرِ
حديث لو ان العُصْم تُدعى به أتَتْ ... ودون يد الفحشاء حدُّ البواتر

فتخير من الألفاظ أرجحها وزنًا [1] ، وأجزلها معنى ، (وأشرفها جوهرًا، وأكرمها حسبًا) [2] ، وأليقها فى مكانها ، (وأشكلها فى موضعها) [3].

* صدور الرسائل *

٢٨- وليكن فى صدور كتابك دليل واضح على مرادك ، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك ، حيثما جريت فيه من فنون العلم ، ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات ، فإن ذلك أجزل لمعناك ، وأحسن لاتساق (٣٤٠- أ) كلامك.

ولا تطيلنَّ صدر كلامك إطالةً تخرجه من حده ، ولا تقصر به عن حقه ، ولو صُوِّر اللفظ وكان له حدٌّ لوقفتك عليه ، غير أنهم - فى الجملة -

---

(١) فى العقد الفريد : ١٨٦/٤ « أرجحها لفظًا » .
(٢) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٨/٤ - ١٨٩ .
(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ .

كرهوا أن يزيدوا سطور [1] كتب الملوك على سطرين ؛ وهذه إشارة لا تعبِّر إلا عن الجملة من المقصود إليه ؛ لأن الأسطر غير محدودة .

* إصلاح الدواة *

٢٩- واعلم أن أول ما ينبغى لك أن تُصلِح آلتك التى لابدَّ لك منها ، وأدواتك التى لا تنم صناعتك إلا بها ، وهى : دواتك ، فابدأ بعمارتها وإصلاحها، وتخيَّر لها لِيقة [2] نقيَّة من الشَّعر والوذح [3] ؛ لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، أو يشغلك بتنقيته ؛ وخذ من المداد الفارسىِّ خمسة دراهم ، ومن الصمغ العربى درهمًا ، وعَفْصًا [4] مسحوقًا نصف درهم ، ورَمَاد القِرطاس المحْرَق درهمين ، ثم تسحقها، وتغربلها وتجمعها ببياض البيض ، ثم بَنْدِقْهَا [5] واجعلها فى الظل ، فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك ، فكسرته وحشوت به دواتك ؛ وإذا نقعته فى ماء السلق حتى ينحل ويذوب ويختمر ، ثم أمددت من مائة دواتك ، كان أجود وأنقى .

---

(١) فى جمهرة رسائل العرب : ١٨٩/٤ « صدور » .

(٢) الليقة : ما يوضع فى الدواة من صوف أو قطن ، وإنما سميت : ليقة؛ لأنها تحبس ما جعل فيها من السواد وتمسكه ، انظر : أدب الكتاب: ٩٩ ، وكتاب الكتاب : ٩٦ ، ورسالة الخط والقلم : ٢٦٥-٢٦٦ ، وصبح الأعشى : ٤٦٩/٢ .

(٣) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٢ « الودح » ، وهو تحريف ، وصوابه من الرسالة العذراء :٢٣ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٩/٤ ، والوذح : ماتعلق بأصواف الغنم من البعر والبول

(٤) العفص : الذى يتخذ منه الحبر.

(٥) بندقها : اجعلها بحجم البنادق التى تمر بها .

* أنابيب القلم *

٣٠- ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القلم الذى يصلُح لكتابة القراطيس ، أقله عقدًا ، وأكثفه لحمًا ، وأصلبه قشرًا ، [١] وأعدله استواءً [٢] ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت فإنها ما تصلح إلا للكواغد والرقوق [٣].

* برايـة القلـم *

٣١- واجعل لقلمك براية حادة ، فإنَّ تعثُّر يَد الكتاب وقت قطع القرطاس ناقص من [٤] مروءته ، ومخِلٌّ بظرفه ، وإن قَدرتَ ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك إلا بخرطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، و وأبدعُ (٣٤٠-ب) لظرفك وقطعك .

* نـوع السكين *

٣٢- واستعمل لبرى القلم سكينًا طواويسيًا ، مُذْلقَ الحدِّ ، وميض الطرف ، فيكون ذلك عونًا لك على برى أقلامك ، فإن محل القلم من الكاتب محلُّ الرمح من الفارس [٥] ؛ ولئن قيل : كأنه الرمح الرُّدَيْنى ، فقد قال الكاتب : كأنه القلم البَحرِيُّ ، وتفقَّدِ الأنبوبة قبل بَرْيِكَها لئلا تجعلها

---

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٢ « وأجلبه قشرًا » .

(٢) انظر : صبح الأعشى : ٤٥١/٢ .

(٣) الكواغد : القراطيس ، والرقوق : جلود رقيقة يكتب فيها .

(٤) حرف « من » ساقط من جميع مطبوعات الرسالة .

(٥) انظر : صبح الأعشى : ٤٥٧/٢ .

منكوسة ، وابْرِهَا من ناحية نبات القصبة ، وأَرْهِفْ ـ ما قَدِرْتَ ـ جانبَىْ قلمك ، ليرد ما انتشر من المداد ، ولا تُطِلْ شقَّه ، فإن القلم لا يُمِجّ المداد من شقه إلا مقدار ما احتملت شُعْبَتَاه ، فارفع شُعْبَتَيْهِ [1] ليجمعا لك حواشى تحضيره .

٣٣- وأما قطُّ القلم فعلى قدر الذى يتعاطاه الكاتب من الخط ، غير أن المسلسل لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القط ، كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرَّف الكوفى ، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه ، والمقصود إليه فى النوائب والمهمات .

٣٤- ورأيت كثيرًا من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجعُّده وتجانسه، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفًا ، وأما الموشَّع والمولَّع والمولع والمدبج والمنَمْنم والمسهَّم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه.

* السبيل إلى حسن الخط *

٣٥- وأما حسن الخط فلا حدَّ له ، قال « على بن النصراباذىُّ الكاتب» [2]:

---

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٣ ، والرسالة العذراء: ٢٤ « ... ما احتملت شبتاه ، فارفع شبتيه » ، وهى كما دونتها بالأصل المخطوط ، وأدب الكتاب : ٨٦ (للصولى) ، وانظر ـ أيضًا ـ صبح الأعشى : ٦/٣ .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٣ ، والرسالة العذراء : ٢٥ « على بن زيز النصرانى» ، وفى العقد الفريد : ١٧٢/٤ -١٧٣ « على (بن زين) النصرانى الكاتب» ، وصواب ذلك من : جمهرة رسائل العرب : ١٩١/٤ « على بن النصراباذى ، نسبة إلى نصرا باذ : محلة بنيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى « نصر بن عبد العزيز الخزاعى» وكان قد ولى الرى فى أيام « السفاح » ، ولم يزل عليه إلى أن قتل « أبو مسلم الخرسانى » .

أُعلِّمك الخطَّ فى كلمه واحدة ، لا تكتبن حرفًا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تعجل عنه إلى غيره [1] .

* النقط والشكل *

٣٦- وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضلِ الذى تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجه ، فـ (إنى سمعت « سعيد بن حُميد بن عبد الحميد الكاتب » ، يقول :) [2] لأنْ يُشْكِلَ علىَّ الحرف ، أحبُّ إلىَّ من أن يعاب بالنقط والإعجام (٣٤١-أ) [3] وقال « المأمون » لكُتَّابه : إيَّاكم والشُّونيزَ [●] فى كتبكم ، يعنى : النقط ، ولذلك قال «ابن هانى »:

لم ترضَ بالإعجامِ حينَ كَتَبْتُه حتَّى كتبتُ السَّبَّ بالإعْراب [4]

* الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم *

٣٧- ولا تُغْفِلْ الصلاة على النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد قال «أبو العيناء» : إن بنى أمية هم الذين كانوا أمروا كتابهم فطرحوا ذلك فى كتبهم ، فجرت عادة الكتاب إلى يومنا هذا على ما سنوه ، وقد قال ـ

---

(١) انظر : العقد الفريد : ١٧٣/٤ ، ومعالك الكتابة : ٧٩ .

(٢) زيادة من العقد الفريد : ١٧٣/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩١/٤ .

(٣) فى العقد الفريد : ١٧٣/٤ « من أن يعاب الكتاب بالشكل » .

(●) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٣ « إياى » والتصحيح من العقد الفريد : ١٧٣/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩١/٤ ، والشونيز : كلمة فارسية بمعنى : الحبة السوداء.

(٤) انظر : ديوان أبى نواس : ٦٥ ، وأدب الكتاب : ٦١ (للصولى) ، برواية :

لم يرض بالإعجام حين كتبته حتى شكلْتُ عليه بالإعْرابِ .

عليه الصلاة والسلام ـ : « **لا تجعلونى كقدح الراكب ، ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره** » [1] صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أولا وأسط وآخرًا .

* إتراب الكتب *

٣٨- وأُجِب أن تجعل بدل الأُشارةِ (٢) الترابَ ؛ فإن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « أتْرِبوا كتبكم ، فإنه أنجح للحاجة » [3] .

* ضرورة كتابة التاريخ وطريقته *

٣٩- ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ، وانظر

---

(١) الحديث أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد : ١٥٥/١٠ ، والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين: ٤٢/٥ ، وعبد الرازق فى المصنف : ٣١١٧ ، وابن حجر فى المطالب العلية : ١٣١٦ ، والمتقى الهندى فى كنز العمال : ٢٢٥٢،٢٢٥٣،٢٢٥٤،٣١١٧، والشوكانى فى الفوائد المجموعة : ٣٢٧ .

(٢) الأُشارة : نشارة الخشب ، يقال : أشر الخشبة : شقها ، والمئشار : المنشار .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى : ٦٣/٥ كتاب الاستئذان باب ما جاء فى ترتيب الكتاب حديث رقم : ٢٧١٣ بلفظ : « إذا كتب أحدكم كتابًا فليتريه فإنه أنجح للحاجة » وقال : حديث منكر ، وابن ماجة : ١٢٤٠/٢ كتاب الأدب باب ترتيب الكتاب حديث رقم : ٣٧٧٤ ، وأورده العجلونى فى كشف الخفاء : ١٠٠/١ حديث رقم : ٢٥٧ ، وأتربوا كتبكم : اجعلوا عليها التراب ، فإن التراب مبارك ، وأنكر ذلك يحيى بن معين ، وقال : إن الأرضة تسرع إلى الكتاب ، وعندما ذكر الحديث ، قال فى إسناده : لا يساوى فلسًا ، وانظر أيضًا : رسالة الخط والقلم : ٢٧٣ ، وكتاب الكتاب : ٩٧ ، والاقتضاب ١٨٢/١ .

إلى ما مضى من الشهر وما بقى منه : فإن كان الماضى أقل من نصف الشهر قلت : لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقى أقل من النصف ، قلت : كذلك أيضًا بقيت [1] ، وقد قال بعض الكتاب : إن الماضى من الشهر أنت تحصيه ، [2] والباقى لا تحصيه ، لأنك لا تدرى: أيتمُّ الشهر أم ينقص ؟ وليس هذا بشىء ، لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام فى شىء ، وما على الكاتب أن يكتب إلا بما ظهر وتبيَّن لا بما يظن.

* طريقة إسحاء الكتب *

٤٠- ولا تجعل سَحَاةَ [3] كتبك غليظة إلا فى العهود والسجلات التى تحتاج إلى خواتمها وطوابعها ؛ فإن « محمد بن عيسى الكاتب » ، كاتب « آل طاهر » ، أخبر عنهم أن « عبد الله بن طاهر » كتب إلى العراق فى إشْخَاصِ كاتب كان كتب إليه ، فكتب وغلَّظ سَحاة كتابه ، فردَّ الكاتب إليه ، فقَدِم عليه راجيًا لِبرِّه وجائزته ؛ فقال « عبد الله بن طاهر » (٣٤١-ب) : «إن كان معك مسحاة فاقطع خزم كتابك وانصرف وراءك».

---

(١) فى جميع مطبوعات الرسالة : « لكذا أيضًا بقيت » .

(٢) فى رسائل البلغاء : ١٨٣ « أن تحصيه » و « أنت » محذوفة من الرسالة العذراء : ٢٦ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٢/٤ .

(٣) السحاة : ماشد به الكتاب من خيط ونحوه ، وانظر فى ذلك : رسالة الخط والقلم : ٥٣ ، وأدب الكتاب : ١٢٥ ، وكتاب الكتاب : ٩٧ - ٨٩ والاقتضاب : ١٨٢/١ - ١٨٣ .

* الطيـــن *

٤١- وكـذلك لا تعظِّم الطِّينة [١] ، فـفى المثل : « مَنْ عظَّم الطِّينة فـإنه ملوم»[٢] ولا تَطْبعها إلا بعد عُنْواناتها . فإن ذلك من أدبهم [٣] .

* إلصاق القراطيس ومحوها *

٤٢- وقـد يجب عليك عِلْم إلصّاق القـراطيس ومَحْـوها ، ولم أر شـيئًـا فى إلصاقها ألطف من أن يُنْقَع الصَّمغ العربى فى الماء ساعة حتى يذوب ، ثم يُلعصَق به ، وكذلك ماء الكثير أو النشاستج [٤] ثم تطويه طيًا رقيقًا، وتجعله فى منديل نظيف ، ويوضع [٥] تحت وسـادة حـتى يجفَّ ، وأمـا مـحوها فـعلى قـدر لطف الكاتب وتَأنّيـه ، غيـر أنه ينبغى لـه ألا يَلْقط السـواد مـن القـرطاس إلا بمثل الشـمع المسخَّن واللبـان الممضـوغ ، ومـا أشـبـهـهـا ، ثم يكون لقطه رويدًا رويدًا ، كلمـا لقط جـانبًـا حـوَّله إلى الجانب الآخر .

---

(١) الطينة : الطابع على الكتـاب والصك ، وانظر فى ذلك : رسـالة الخط والقلم : ٢٧٤ ، وكتاب الكتاب : ٩٨ ، والاقتضاب : ١٨٩/١ .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ « مظلوم ».

(٣) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ « مراد بهم » .

(٤) النشاستج : كلمة فارسية ، عُرِّبت وحذف شطرها فصارت : النشا ، وقد أقرها المجمع وقال فى معناها : كربوهيدرات على شكل مسحوق أبيض. انظر المعجم الوسيط : ٩٦١/٢، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ (الهامش) .

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ «ويُرْفَعُ» .

* قراءة الكتب المختومة *

٤٣- وأما قراءة الكتب المختومة ، والتلطُّف لنقض [١] خواتيمها ، فمما لا نذكره خوفًا من سَفيهٍ .

* آداب تضمين الأسرار فى الكتب *

٤٤- وأما تضمين الأسرار (فى الكتب) [٢] حتى لا يقرأها غيرالمكتوب إليه ففيه أدب (يجب معرفته ، وقد تعلقت العامة بالمعمى ، قال «الأصبهانى» [٣] وكان « أبو حاتم: سهل بن محمد » [٤] قد وضع منه أشياء جليلة [٥] فيجب أن تبدِّل الحروف تبديلاً يَخْفَى، وألطف من ذلك أن تأخذ لبنًا حليبًا ، [٦] فتكتب به فى قرطاس ، فَيَذُرَّ المكتوب إليه عليه رمادًا حارًا من رماد القراطيس ، فإنه يظهر (ما كتب به إن شاء الله) [٧] وإن كتب بماء الزاج (الأبيض) [٨] وذُرَّ عليه العفص

---

(١) فى الرسالة العذراء : ٢٨ « لفض » .

(٢) زيادة من : جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ .

(٣) هو : أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهانى ، من أصحاب ديوان الخراج فى الدولة العباسية ، كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم ، وكان مترسلاً ، له « ديوان رسائل » ، توفى سنة ٢٤٦هـ . الأعلام : ٣٢٤/٧ .

(٤) هو : أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمى السجستانى ، من كبارالعلماء باللغة والشعر ، من أهل البصرة ، كان المبرد يلازم القراءة عليه ، له نيف وثلاثون كتابًا وله شعر جيد ، توفى سنة ٢٤٨ هـ ، الأعلام : ١٤٣/٢

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ ، والرسالة العذراء : ٢٨« وقد تعلقت العامة بالقُمِّى والأصبهانى ، فيجب أن .. » وما دونته من : جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ .

(٦) فى رسائل البلغاء : ١٨٤ « لبنًا طيبًا » .

(٨،٧) زيادة من : جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ .

المدقوق جاز [1] ، أو بماء العفص وذر عليه شيئًا من الزاج ، أو تنقع شيئًا من وشَّق [2] ثم تكتب به ، ثم نثرت عليه الرماد فإنه يظهر ، وإن أحببته لا يُقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة.

* معيار تخير الألفاظ *

٤٥- وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزنِ اللَّفظةَ قبل أن تُخرجها (٣٤٢-أ) بميزان التصريف إذا عرضت ، و(عاير) [3] الكلمة بعياره إذا سنحتْ ، فربما مرَّ بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا (كتبتَ)[4] : « أنا فاعل » أحسن من (أن تكتب) [5] : « أنا أفعل » ، و (موضع آخر يكون فيه) : [6] « استفعلت » أحلى من « فعلت» [7] .

٤٦- وأدر الألفاظ فى أماكنها ، واعْرِضْهَا على معانيها ، وقلِّبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها ، ولا تجعلها قلقة نافرة ، فمتى صارت كذلك هجَّنت الموضع الذى أردت تحسينه ، (وأفسدت المكان الذى أردت إصلاحه) [8] ، واعلم أن الألفاظ فى (غير) [9] أماكنها

---

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٤ « بجاز » ، وفى جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ « بزاج » والعفص: شجرة البلوط ، يتخذ من ثمرها حبرًا أو صبغًا.

(٢) الوشق : نوع من الصمغ .

(٣) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٦/٤، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٤) فى الأصل المخطوط : « حسب » ، وما دونته من العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٥،٦) زيادة من: العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٧) انظر : العقد الفريد : ١٨٦/٤ .

(٨،٩) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ -١٨٧ ، ونهاية الأرب : ١٨٨/٧ ، وجمهرة رسائل العرب: ١٩٤/٤ .

(والقصد بها إلى غير مظانها، إنما هو) [1] كترقيع الثوب الذى لم تتشابه رِقاعُهُ (ولم تتقارب أجزاؤه ، خرج من حِّد الجدِّة و) [2] تغيَّرَ حسنه ، (كما) [3] قال الشاعر :

إنَّ الجَديدَ إذا ما زِيدَ فى خَلَقٍ تَبَيَّنَ النَّاسُ أنَّ الثوبَ مَرْقُوعُ [4]

* أفضل الأوقات للكتابة *

٤٧- وارتصد لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف ؛ لأن سماحة النفس بمكنونها ، وجود الأذهان بمخزونها، إنما هو مع الشهوة المفرطة فى الشعر [5] ، والمحبة الغالبة فيه ، أو الغضب الباعث منه ذلك .

قيل لبعضهم : لم لا تقول الشعر ؟ قال: كيف أقوله ، وأنا لا أغضب ولا أطرب ! [6] .

وهذا كله إن جَرَيْتَ من البلاغة على عِرْقٍ ، وظهرت منها على حظ ؛ فأما إن كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتُك عليها، فلا تنض مطيَّتك [7] فى التماسها ولا تُتْعِبْ بدنك فى ابتغائها ، واصرف عِنانك عنها، ولا تطمع فيها باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير

(١،٢،٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ - ١٨٧ ، ونهاية الأرب : ١٨٨/٧ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٤) انظر العقد الفريد : ١٨٦/٤- ١٨٧ ، ونهاية الأرب : ١٨٨/٧ .

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٥ « فى الشر » ، وفى الرسالة العذراء : ٣٠ «فى الشىء » .

(٦) فى العقد الفريد : ٣٢٦/٥ - ٣٢٧ « وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سهية : هل تقول الآن شعرًا ؟ قال : ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، فلا يقال الشعر إلا بواحدة من هذه».

(٧) تنض مطيتك : تهزلها .

مثمر لك ، ولا مجد عليك ، ومن كان مرجعه فيها إلى اغتصاب ألفاظ من تقدَّمه [1] والاستضاءةِ بكوكب من سَبَقَه ، وسحب ذيل حُلَّة غيره ، ولم يكن معه أداة تولد له (٣٤٢-ب) من بنات قلبه ، ونتائج ذهنه : الكلام الحر، والمعنى الجزل ، فلم يكن من الصناعة فى عير ولا نَفِير ، على أن كلام الفصحاء [2] المطبوعين ، ودرس رسائل المتقدمين . على كل حال . مما يَفْتُق اللسان ، ويوسع المنطق ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيَّة.

* مناسبة الألفاظ للمعانى *

٤٨- قال « العَتَّابى » [3] ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرينا فيه من صنوف الآداب ، شيئًا أصعب مرامًا ، ولا أوعر مسلكًا ، ولا أدلَّ على نقص الرجال ورجاحتهم ، وأصالة الرأى ، وحسن التمييز منه ، واختياره من الصناعة التى خطبتها ، والمعنى الذى طلبته ، وليس شىء أصعب من اختيار الألفاظ ، وقَصْدِك بها إلى موضعها ؛ لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتَها فى الفصاحة والحسن ، ولا تحسُنُ فى مكانٍ غيرها، وبتمييز هذه المعانى ، ومناسبة طبائع جهابذتها ، ومشاكلة أرواحهم، جعلوا الكتابة نسبًا وقرابة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

---

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٥ ، والرسالة العذراء : ٣٠ « تقدم » .

(٢) فى جميع مطبوعات الرسالة : «العظماء » .

(٣) هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبى ، أبو عمرو : من بنى عتاب بن سعد : كاتب حسن الترسل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة ، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو من أهل الشام ، توفى سنة ٢٢٠ هـ ، الأعلام : ٢٣١/٥ .

* مكانة الكُتَّابِ *

٤٩- (قال) الحسن بن وهب [١] : الكتابة نفس واحدة تجزأت فى أبدان متفرقة ؛ ومن لم يعرف فضلها ، وجهل أهلها ، وتعدى بهم رتبتهم التى وصفهم الله بها [٢] فإنه ليس من الإنسانسة فى شىء .

٥٠- قالت البرامكة : رسائل المرء فى كتبه دليل على عقله ، وشاهِدٌ على غَيْبه .

٥١- قال الشاعر:

وتُنْكِرِ ودَّ المرء فى لحْظ عينه ... وتعرِفُ عقل المرء حين تُكاتِبهْ

٥٢- (وقال) آخر :

وشعرُ الفتى يُبْدِى غريزةَ طبعه ... وبالكُتْبِ يبدو عقلُهُ وبلاغَتُهْ

٥٣- (وقال) الشعبى [٣] : يُعرف عقل الرجل إذا كتب وأجاب [٤] .

---

(١) هو : أبو على الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثى ، كاتب ، من الشعراء ، كان معاصرًا لأبى تمام ، وله معه أخبار ، وكان وجيهًا ، استكتبه الخلفاء ، ومدحه أبو تمام ، ولما مات رثاه البحترى ، توفى نحو سنة ٢٥٠ هـ الأعلام : ٢٢٦/٢ .

(٢) وذلك فى قوله تعالى : ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ (سورة الانفطار :١١) .

(٣) هو : أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار ، الشعبى الحميرى ، راوية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة ، اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم ، وكان فقيهًا شاعرًا توفى سنة ١٠٣ هـ . الأعلام : ٢٥١/٣ ،

(٤) فى جمهرة رسائل العرب : ١٩٦/٤ « إذا كتب فأجاد » .

٥٤- (وقال) العتبى [١] : عقول الناس (٣٤٣-أ) مدَّونة فى كتبهم .

٥٥- (وقال) ابن المقفع [٢] : كلام الرجل وافد عقله.

* عود إلى مناسبة الألفاظ للمعانى *

٥٦- وشبَّهت الحكماء المعانى بالغوانى ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظًا رائقًا ، وأعاره مخرجًا سهلاً ، كان للقلب أحلى ، وللصدر أملى ، ولكنه بقى عليه أن يَنْظِمه فى سِلكه مع شقائقه كاللؤلؤ المنثور ، الذى يتولى نظمه الحاذق ، والجوهرى العالم يُظْهِرُ بإحكام الصنعة له حسنًا هو فيه ، ويمنحه بهجة هى له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهرتين خَرَزَةً هَجَّنَ نظمه وأطفأ نوره ، كان «حبيب بين أَوْسٍ» ربما وقع على جوهرة فجعلها بين بعرتين قال الشاعر :

ولو قَرَنْتَ بدرُ فاخِرٍ خرزًا من الزجاج لَقُلْنا بئسما نَظَما

والياقوت حَسَنٌ ، وهو فى جيد الحسناء أحسن ، وكذلك الشِّعر الجيِّدُ مُونِقٌ[٣] ، ولكنه من أفواه العظماء آنَقُ ، والتاج الشريف بهىٌّ المنظر ، وهو على الملك أبهى ، كما قال « ابن (قيس) » الرقيات :

---

(١) هو : أبو عبد الرحمن الأموى محمد بن عبيد الله بن عمرو ، من بنى عتبة بن أبى سفيان، أديب ، كثير الأخبار حسن الشعر ، من أهل البصرة ، ووفاته فيها سنة ٢٢٨ هـ ، الأعلام : ٢٢٨/٦ .

(٢) هو : عبد الله بن المقفع ، من أئمة الكُتَّاب ، وأول من عنى فى الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس ، ولد فى العراق، مجوسيًا ، وأسلم على يد عيسى بن على (عم السفاح) وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى ، اتهم بالزندقة ، فقتله فى البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى سنة ١٤٢ هـ ، الأعلام : ١٤٠/٤ .

(٣) المونق : المعجب .

* يعتدلُ التَّاجُ فوق مَفْرِقِهِ [1] *

* تلاحم أبيات النص *

٥٧- قال « أبو العتاهية» « لابن مُنَاذِر» : بلغنى أنك تقول الشعر فى الدهر، والقصيدة فى الشهر ؛ فقال : نعم ، لو رضيت لنفسى أن أؤلف تأليفك وأقول :

* يا عُتْبَ يا دُرَّةَ الغَوَّاصِ *

لقلت فى اليوم والليلة ألف قصيدة [2]

٥٨- وقال « عمر بن لجَأ » لشاعر : أنا أشعر منك ؛ قال : ولم ؟ قال : لأنك تقول البيت وابنَ عمِّه ، وأنا أقول البيت وأخاه [3] .

* ضرورة عرض الإبداع على البلغاء *

٥٩- فإذا منيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك بشعر معقود ، أودَعَتْك نفسك إلى تأليف الكلام المنثور ، وتهيَّأ لك نظم هو عندك معتدلٌ ، وكلام لديك متَّسقٌ ، فلا تَدَعُونَّك الثقة بنفسك ، والعُجْبُ بتأليفك أن تهجُمَ به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر (٣٤٣-ب) إلى تأليفك بعين الوالد لوالده ، والعاشق إلى عشيقه ، كما قال « حبيب » :

ويسىء بالإحسان ظنًا ، لا كَمَنْ هو بابْنِهِ وبِشِعْرِهِ مفتون [4]

---

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ٥ وفيه مصادر التخريج .

(٢) انظر القصة برواية أخرى فى : الجليس الصالح الكافى : ١/٥٣٠ - ٥٣١ .

(٣) البيان والتبيين : ١/٢٠٦ .

(٤) ديوان أبى تمام (بشرح الخطيب التبريزى) : ٣/٣٣١ .

ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجًا بغيره ، فإن أصغوا إليه ، وأَذِنوا له [1] ، وشَخَصوا بالأبصار واستعادوه وطلبوه منك وامتزج، فاكشفْ من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمَهُ ، وانسبْهُ إلى نفسك ، وإن رأيت العيون عنه منصرفةً ، والقلوب عنه لاهية [2] ، فاستدِلَّ به على تخلُّفك عن الصناعة ، وتقاصُرِك عنها ، واستربْ رأيك عند رأى غيرك من أهل الأدب والبلاغة ، فقد بلغنى أن بعض الملوك دعا إنسانًا إلى مؤانسته، حتى ارتفعت الحِشْمَةُ بينها ، فأخرج له كتابًا قد غشَّاه بالجلود، وجمع أطرافه بالإبْرَيْسَم [3] ، وسوى ورقهُ ، وزخرف كتابته و جعل يقرأ عليه كلامًا قد حبَّره [4] فيه ، ونَمَّقَه عند نفسه ، وجعل يستحسن ما لا يحسن ، ويقف على ما يستثقل [5] قراءَتَهُ ، حتى أتى على الكتاب ؛ فقال له : كيف رأيتَ ما قرأتُ عليك ؟ فقال : أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه، فَفَطَنَ له ولم يعاوِدْهُ ، إلى أن وقف به على تَنُّور مسجور [6] ، ثم قذف بالكتاب فى النار ، وهذا رجل فى عقله فَضْلة [7] ، وفيه تمييز.

وإنما البليةُ فيمن إذا بيَّنت له سوء نظمه واختياره ، ووقَفْتَهُ على سخافة لفظه ، هجرك وعاداك !!

---

(١) أذنوا له : استمعوا بإعجاب شديد.

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٦ « واهية » ، وفى جمهرة رسائل العرب : ١٩٨/٤ « ذاهبة » .

(٣) الإبريسم : الحرير .

(٤) حبره : حسنه .

(٥) فى جميع مطبوعات الرسالة : « ما لا يستثقل » .

(٦) التنور المسجور : الفرن المحمى .

(٧) الفضلة : الزيادة والقوة .

٦٠- فاجعل هذا الأصل ميزانًا تزن به مذهبك فى رسائلك وبلاغتك ولا تخاطِبَنَّ خاصًا بكلام عام ، ولا عامًا بكلام خاص ، فمتى خاطبت أحدًا بغير ما يشاكله ، فقد أجريت الكلام غير مجراه ، وكشفته (٣٤٤ - أ) وقَصْدُك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيهٌ بقدر كلامك[١]، ورفعٌ لدرجته ، قال :

فَلَمْ أَمْدَحْكَ تفخيمًا لِشِعْرى ولكنِّى مَدَحْتُ بك المديحَا [٢]

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، وموارِدَها ومصادرها ، وتجنَّبْ ما قَدِرْتَ الألفاظَ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلامًا بين الكلامين .

* جـزالة الألفـاظ *

٦١- (قال) « الجاحظ » : ما رأيت قومًا أمثل طريقةً فى البلاغة من هؤلاء الكُتَّاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعِّرًا وحشيًا ، ولا ساقطًا سوقيًا .

٦٢- وقال « خالد بن صفوان » : أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوىِّ المغْرِبِ ، ولا القَرَوِىِّ المخْدِج [٣] ، الذى

---

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٧ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٨/٤ « تنبيه لقدر » .

(٢) ديوان أبى تمام (بشرح الخطيب التبريزى) : ٣٤٣/١ .

(٣) المخدج : الناقص .

صحَّت مبانية ، وحسنت معانية ، ودار على ألسن القائلين ، وخف على آذان السامعين ، ويزداد حسنًا على ممرِّ السنين ، تجتليه الرُّواة ، وتقتنيه السُّراة [١] .

* الكاتب المستحق اسم الكتابة *

٦٣- والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، مَنْ إذا حاول صنعة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، وبدرت [٢] من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب[٣] .

٦٤- حدثنا صديق « للعَتَّابى » [٤] قال له : اعمل لى رسالة ، واستمده مرة[٥] بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً (عنك) [٦] ، فقال له « العتَّابى » : لما تناولت القلم تداعت علىَّ المعانى من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى (حتى) [٧] يرجع إلى موضعه ، ثم أجتنى لك أحسنها [٨] .

---

(١) فى جميع مطبوعات الرسالة : بتجلية الرواة ، وتتقية السراة .

(٢) بدرت : أسرعت ، وهى رواية العقد الفريد : ١٧٤/٤ ، وفى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٧ « وتدرب » ، وفى جمهرة رسائل العرب : ١٩٩/٤ « ندرت » .

(٣) انظر العقد الفريد : ١٧٤/٤ .

(٤) سبقت ترجمته فى الفقرة رقم : ٤٨ .

(٥) استمده : طلب منه إرخاء المدة ، وفى العقد الفريد : ١٧٤/٤ « فاستمد مدة ثم علق القلم» ، وفى جمهرة رسائل العرب : ١٩٩/٤ « استمده مدة » .

(٦،٧) زيادة من العقد الفريد : ١٧٤/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٩/٤ .

(٨) انظر العقد الفريد : ١٧٤/٤ .

٦٥- وأَمْلَى « يزيد بن عبد الله » أخو « ذُبْيَان » [١] على كاتب له ، وأعجل عليه الإملال ، فتعثر قلم الكاتب عن تقيد إملاله ؛ فقال له متحرِّشًا: اكتب يا حمار ! فقال الكاتب (٣٤٤-ب) : أصلح الله الأمير ! إنه لما هَطَلَتْ شآبيب [٢] الكلام ، وتدافعت [٣] سيوله على حرف القلم ، كَلَّ القَلَمُ عن إدارك ما وَجَبَ عليه تقييدُه ، فليتذكر الأمير عذرى ، فكان جوابه أبلغ من بلاغه « يزيد » [٤] .

* عذوبة الكلام *

٦٦- وكلما احْلَوْلَى الكلامُ وعَذُبَ ورقَّ وسَهُلت مخارجه ، كان أسهل ولوُجًا فى الأسماع ، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب ، وأخف على الأفواه ؛ لا سيَّما إذا كان المعنى البديع مترجمًا بلفظ مونق شريف ، ومعبَّرًا بكلام مؤلف رشيق ، لم يشنه التكلف بميسَمِهِ [٥] ، ولم يُفْسِدْه التعقد [٦] باستهلاكه؛ كقول « ابن أبى كريمة » [٧] :

قفاه وجهٌ حَسَنٌ ، والَّذى قفاه وَجْهٌ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

فهجَّن المعنى بتوعر مخارج الحروف .

---

(١) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٧ ، والرسالة العذراء : ٣٦ « دينار » .

(٢) الشآبيب : دفعات المطر .

(٣) فى رسائل البلغاء : ١٨٧ ، والرسالة العذراء : ٣٦ « تدافقت » .

(٤) انظر : العقد الفريد : ١٧٤/٤ .

(٥) الميسم : الآلة التى يوسم بها ، والسمة : العلامة التى يحدثها الميسم.

(٦) فى العقد الفريد : ١٨٧/٤ ، ٣٩٥/٥ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٠/٤ «التعقيد » .

(٧) هو : أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى بالولاء البصرى ، فقيه ، من علماء الإباضية ، أخذ المذهب عن جابر بن زيد ، ثم صار مرجعًا فيه تشد إليه الرحال، توفى نحو سنة ١٤٥هـ . الأعلام : ٢٢٢/٧ - ٢٢٣ .

وأخذه « الحسن بن هانئ » فسهله ، وقال :

❖ بذَّ حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قَفَاكَا ❖

وكلاهما من «حسان» حيث يقول :

قـفـاؤك أحـسن من وجـهـه وأُمُّكَ خـيـرٌ من المنْذِرِ (١)

٦٧- وانظر إلى سلاسة (الحسن بن هانئ) ، حيث قال :

حذَر امرئٍ ضربتْ يداهُ على العدا كالدَّهر فيه شَراسَةٌ وليانُ (٢)

وإلى خشونة ألفاظ « حبيب الطائى » فى هذا المعنى حيث يقول : (٣)

شرِسْتَ بل لِنْتَ بل قابلتَ ذاكَ بِذَا فَأنتَ لاشَكَّ فيك السَّهْلُ والجَبَلُ (٤)

* تعقيد الكلام *

٦٨- وكتب « عيسى بن لَهِيعَةَ » كاتبًا إلى بعضهم ، فعقَّد كلامه وجاز المِقْدارَ فى التَّطلُّع ؛ فوقَّع له :

أنَّى يكونَ بليـغًـا من اسـمُـهُ كـان عِـيًّـا

وثـالِثُ الحـرف منـه إذا كَـتَـبْتَ مُـسِـيًّـا (٥)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت : ٣٨٣ ، والعقد الفريد : ١٨٧/٤ ، ٣٩٥/٥ .

(٢) ديوان أبى نواس : ٥٥٠

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع أصول الرسالة المخطوطة والمطبوعة ، وقد أكملت ذلك السقط من : العقد الفريد : ٣٩٣/٥ ، وبذلك يستقيم الكلام ، وينسب البيت السابق السلس الألفاظ إلى صاحبه « ابن هانئ » ، كما ينسب البيت الآتى الخشن الألفاظ إلى صاحبه « أبى تمام» بعد أن كان منسوبًا إلى (ابن هانئ) وقد أكد ديوانا الشاعرين هذه النسبة .

(٤) ديوان أبى تمام (بشرح الخطيب التبريزى) : ١١/٣ .

(٥) البيتان فى العقد الفريد : ١٨٧/٤ مع بعض الخلاف فى الرواية.

٦٩- ودخل كاتب على مريض فوجده يئن (من علة) [١] ؛ فخرج من عنده ، فوجد طائرًا يقال له : « الشفانين » [٢] بباب : « الطاق » ، [٣] فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب كتابًا يتنطَّع فيه ، ويذكر أنه يقال له : «الشفانين » (وأرجو أن يكون) [٤] شفاء من الأنين .

فأجابه : لو عَطَستَ ضَبًّا لم تكن عندى (٣٤٥-أ) إلا نبطيًّا ، فأقْصِرْ عن تنطعِكَ [٥] ، وسهِّل كلامك .

ومثله « لمخْلَدَ الموصلِىّ » يهجو « حبيب بن أوس الطائى » :

أنت عندى عربىٌّ ... (ليس فى ذاك كلام) [٦]

شعر ساقيك وفَخْـ ... ـذَيْكَ خزامى وثُمَامْ

وقفًا يحلف ما إن ... أعْرَقَتْ فيه الكِرَامْ

أنا ما ذنبى إن كَذْ ... ذَبنى فيك الأنامْ [٧]

---

(١) زيادة من جمهرة رسائل العرب : ٢٠١/٤ .

(٢) الشفانين : من أنواع الحمام عند الجاحظ ، وانظر الحيوان :١٤٦/٣ وقيل : هو الذى تسميه العامة « اليمام » ، وانظر عنه : حياة الحيوان الكبرى : ٥٣/٢ (للدميرى) ، وعجائب المخلوقات : ٢٧٢/٢ ، وهامش جمهرة رسائل العرب : ٢٠١/٤ .

(٣) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد ، بالجانب الشرقى ، انظر : معجم البلدان : ٣٠٨/١ .

(٤) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٧/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠١/٤ .

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٨ ، والرسالة العذراء : ٣٨ « بفضك » .

(٦) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٨ « عربى والسلام » .

(٧) الأبيات ضمن مجموعة أبيات أخرى فى : العقد الفريد : ١٨٨/٤ ، وجمهرة رسائل العرب: ٢٠١/٤ - ٢٠٢ .

٧٠- وسألنى بعض أهل العلم أن أكتب له قصة إلى « جعفر بن عبد الواحد القاضى » ، وقال : اكتب لى قصة سهلة بليغة الألفاظ ، فقلت له : دعنى أكتب لك ما يصلح للقضاء ، فغضب وقال لى : ما أسألك [١] أن تعطينى شيئًا ، إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ، فاحتملتُ عَتْبَهُ لذمَامِهِ [٢] ، فكتبت له قصة لا تصلح أن تُدْفَعَ إلا « لرؤبة بن العجاج » يقرؤها أو «الطِّرمَّاح » ، فلما حَصَلَتْ بيد القاضى أراد قراءتها فإذا هى منغلقة [٣] عليه ، فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقرأها ، فذهب ليقرأها ، فإذا هي (أشبه) [٤] بالسودانية ، استعجامًا عليه ؛ فقال له : أصلح الله القاضى ، إنما أقرؤها فى بيتى؛ فقال له : فاطلب حاجتك إذن فى بيتك ! فرجع إلىَّ غضبان أسفًا يشتمُ ويؤذى، وسألنى أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكتبت له كتابًا يشبه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأها وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما !

والكتاب إذا لم يكن شبيهًا بحاجة صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة .

---

(١) فى جميع مطبوعات الرسالة : « ما أسأل »

(٢) فى جميع مطبوعات الرسالة : « لذمام » ، ولذمامه : لحقه وحرمته.

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « مغلقة »

(٤) زيادة يقتضيها السياق ، من هامش الرسالة العذراء : ٣٩ .

* الائتلاف بين الألفاظ والمعانى *

٧١- والمعانى كلها ممتثلة ، والكلام مشْبَعٌ [١]، ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته ، وفرسانه أمراء الكلام ، يصرِّفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة (٣٤٥-ب) حتى يسابق معناهُ لَفْظَه ، ولفظُهُ معناه ، ويكون اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب [٢].

٧٢- « الجاحظ » : كان لفظه فى وزن إشارته ، وطبعه فى معناه فى مطابقة معناه .

٧٣- وذكر « الحسن بن وهب » ، « أحمد بن يوسف » ، فقال : ما كنت أدرى: ألفظُهُ آنَقُ أم معناه ، أو معناه أجزل أم لفظه ؟!

٧٤- والمعانى وإن كانت كامنة فى الصدور ، فإنها متصوَّرة فيها ، ومتصلة بها ، وهى كالآلئ المنظومة [٣] فى أصدافها ، والنار المخبوءة فى أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها وأصدافها تبيَّن حسنها [٤] ، وإن

---

(١) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ ، والرسالة العذراء : ٣٩ « والكلام مشبعًا » ، والصواب من جمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ ، والممتثلة : المتصورة ، والكلام المشبع : الوافر المعنى .

(٢) انظر : البيان والتبيين : ١١٥/١ ، ونهاية الأرب : ٨/٧ .

(٣) فى جمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ « المنطوية » .

(٤) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ ، والرسالة العذراء : ٣٩ « فإن أظهرته من أكنانه وأصدافه تبين حسنه » .

قَدَحْتَ النار من مكامنها [1] وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بقيت محجوبة مستورة ، وإنما [2] يستثار الكامن منها ، ويستخرج المستسِرُّ[3] من جواهرها ، بقدر حِذقِ المستنبط ، وصواب حركات المستخرِج، وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ، ولا يصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح ، كان أدل على حسن وجه المعنى ، (وقد رأيتهم شبهوا المعنى) [4] الخفيَّ بالرُّوح الخفى ، واللفظ الظاهر بالجُثْمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جَزْلٌ ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقًا (وتضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح ، كتضاؤل الحسناء فى الأطمار الرَّثَّة) [5].

* أصناف الدلالات على المعانى *

٧٥- والدال على المعنى أربعة أصناف : لفظٌ ، وإشارةٌ ، وعقدٌ ، وخطٌّ ، وذكر أرسطاطاليس (صنفًا) [6] خامسًا ، وهو الذى يسمى [7] :

---

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٩ «مكانها» وفى هامش الرسالة العذراء : ٣٩ «لعله : مكامنها» ، وهى الموجودة بالأصل المخطوط ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ « وبما » .

(٣) المستَسِرُّ : المختفى المستتر .

(٤) زيادة من العقد الفريد : ١٨٨/٤ . وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ .

(٥) زيادة من العقد الفريد : ١٨٨/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ .

(٦) زيادة من المصدرين السابقين فى الموضعين ذاتهما .

(٧) فى الأصل ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ « وهى التى تسمى » .

النِّصْبة [1]، و (النِّصْبَةُ) هى : الحال [2] الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، و(هى) الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهرٌ فى خلق السموات والأرض ، وفى كل صامت وناطق، وهى داخلة فى جملة هذه المعانى الأربعة ، وخارجة منها بالحِلْيةِ .

٧٦- ولكل واحدة (٣٤٦-أ) من هذه الرسائل صورة مخالفة لصورة صاحبتها ، وحِلْيَةٌ غير مُشاكلة لحلية أختها ، غير أنها فى الجملة كاشفة عن أعيان المعانى (وسافرة عن وجوهها) [3] .

٧٧- وأوضح هذه الدلائل (وأفصح هذه الأصناف) [4] صنفان منها ، وهما : اللسان ، والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدى هذه الأصناف الباقية .

٧٨- وأما اللسان ، فهو : الآلة التى يخرج الإنسان بها من حد الاستبهام إلى حد الإنسانية (بالكلام) [5] .

ولذلك قال صاحب المنطق : « حَدُّ الإنسان : الحى الناطق » [6] .

(١) انظر فى أصناف الدلالات على المعانى : البيان والتبيين : ٧٦/١ ، والحيوان : ٣٣/١ ، والعقد الفريد : ١٨٨/٤ وزهر الآداب : ٨٠/١ . ونهاية الأرب : ٨/٧ ، وخزانة الأدب : ١٤٧/٣ ، وصبح الأعشى : ٤/٣ ، وعيون الأخبار : ١٨١/٢ .

(٢) فى رسائل البلغاء : ١٨٩« هى الحالة » .

(٣،٤،٥) زيادة من العقد الفريد : ١٨٩/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ .

(٦) فى البيان والتبيين : ٧٧/١ ، ١٧٠ ، وإحكام صنعة الكلام : ٣٣ « حد الإنسان : الحى الناطق المبين » وانظر أيضًا : العمدة : ٣٨٢/١ وبه مزيد من التخريج .

و(قال علىٌّ بن عبيدة) [1] : « إنما يبين عن الإنسان : اللسان ، وعن المودة : العينان » .

(وقال هشام بن عبد الملك) [2] : « إن الله ـ سبحانه ـ رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله من عبَّر عن شيء مثل من لم يعبر عنه » .

وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه .

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأصغران ، لسانُهُ ومَعْقولُهُ والجسمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

فإن تَرَها راقَتْكَ يومًا فربَّما أمَرَّ مَذاقُ العُودِ والعُودُ أخضر [3]

(وقال) « الأعور التيمى » :

لسان الفتى نِصفٌ ونصفٌ فُؤادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلا صورةُ اللَّحمِ والدمِ [4]

---

(١) هو : على بن عبيدة الريحانى ، كاتب ، من البلغاء الفصحاء ، كان له اختصاص بالمأمون العباسى ، وصنف كتبًا سلك بها نهج الحكمة ، وله مع المأمون أخبار ، توفى سنة ٢١٩ هـ . الأعلام : ٣١٠/٤

(٢) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، ولد فى دمشق ، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥هـ) ، وكان يقظًا فى أمره ، حسن السياسة ، يباشر الأعمال بنفسه ، توفى سنة ١٢٥ هـ . الأعلام : ٨٦/٨ .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٩/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ - ٢٠٥

(٤) البيت منسوب إلى زهير بن أبى سلمى ، انظر : شرح المعلقات السبع (للزوزنى) ١٥٩ .

وقال آخر:

إنَّ الكلامَ لفِي الفؤادِ وإنَّما جُعِلِ اللسانُ على الفُؤادِ دليلا

(وقال) « الطائى » :

ومِمَّا كانت الحُكَماءُ قالت لسَانُ المرْءِ من خَدَمِ الفُؤَادِ [1]

* بقاء الكتابة على الزمان *

٧٩- وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأصناف [2] ، لأنه ينوب عنها [3] فى الإيضاح عن المشهد، ويفضلها فى المغيب ، (ولأن الكتب تُقرأ فى الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرِّقَةِ ، وتُدرس فى كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذلقًا فصيحًا لا يعدو سامعه ، ولايجاوزه إلى غيره) [4] .

* فضيلة العلم والقلم *

٨٠- وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله - عز وجل - : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [5] وأقسم به [6] كما أقسم بغيره ، ثم أقسم بما

---

(١) ديوان أبى تمام (بشرح الخطيب التبريزى) : ٣٧٥/١

(٢) فى الأصل المخطوط ، وجميع مطبوعات الرسالة : « الأوصاف » ، وما دونته من العقد الفريد : ١٨٩/٤ .

(٣) فى العقد الفريد : ١٨٩/٤ « يقوم مقامها » .

(٤) زيادة من العقد الفريد : ١٨٩/٤ ، وانظر - أيضًا - البيان والتبيين : ٨٠/١

(٥) سورة العلق : ٤-٥

(٦) فى قوله تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (سورة القلم : ١)

يكتبه القلم ، إفصاحًا عن حاله ، وإعظامًا لشأنه ، وتنبيهًا لذكره ، فقال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١).

* فضيلة الخط *

٨١- ومن فضيلة الخط أنه لسان اليد ، ورسول الضمير (٢) ، ودليل الإرادة، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة (٣٤٦-ب) ومحادثة الأجِلاء (٣) على التنائى ، وأُنْس الإخوان عند الفرقة ، ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور (٤) وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، ومورِّث الآخر مكارمَ الأول، والناقل إليه مآثر الماضى ، والمخلِّد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسر القلب ، والمخاطب عن الناصت (٥) والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس ، الذى تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه.

---

(١) سورة القلم : ١

(٢) فى العقد الفريد : ١٧٢/٤ ، وصبح الأعشى : ١/٣ -٢ ، ونهاية الأرب : ١٣/٧ - ١٤ «بهجة الضمير» .

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « الأخلاء » .

(٤) انظر : العقد الفريد : ١٧٢/٤ .

(٥) الناصت : الساكت .

* فضيلة البلاغة والقلم *

٨٢- وقد وقعت البلاغة من القلم [١] علوَّ القدر ، وباذخ العزِّ ، « كأبى مسلم » صاحب الدولة : فرَّقَتْ شَمْلَهُ ، وبدَّدت جمْعَهُ ، ونقضت برمه، وأفسدت صلاحه ، وضعضعت بُنْيَانَهُ ، مع ذكائه وتفطنه ، ومكايده ودهائه، وأصالة رأيه وشدة شكيمته [٢] ، وامتناعه على « أبى جعفر » ونفاره عنه، كيف استفزه : «ابن المقفع» ، « وصالح بن عبد القدوس»، «وجبل ابن يزيد» واستمالوا بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ، وجاء مبادرًا حتى وقع فى الشَّرَك المنصوب له ، فتفرق جمعه ، وانطفأ نوره ، وصار خبرًا سائرًا ورسمًا داثرًا .

٨٣- ورفع القلم خاشعَ الطَّرف ، صغير الخَطَر ، لئيم الجنس، درج من عُشِّ التجار ، ونشأ بين المكيال والميزان ، كيف أشالت البلاغة بضبعيه [٣]، ورفعت من ناظريه ، حتى شافهت به عنان السماء ، ورفعت بناءه فوق الثناء [٤] ، حتى طلبه الراكب ، وقصده الطالب ، وخشعت له الرجال ،

---

(١) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٩٠ « العلم » .

(٢) الشكيمة : الأنفة .

(٣) أشالت البلاغة بضبعيه : رفعت عضديه .

(٤) فى جميع مطبوعات الرسالة : « فوق البناء » .

ولَحِظَتْهُ العيون بالوقار ، وتمكَّن من الصنائع ، ومُدَّت نحوه الأصابع ، فشُكرتْ (٣٤٧-أ) منه اللفظة ، ورجيت منه اللحظة ، « كمحمد بن عبد الملك بن الزيات » ، وفيه يقول « على بن الجهم » :

أحْسَنُ من عشرين بيتًا سُدى ... جَمْعُك معناهنَّ فى بيت

ما أحوج الملْكَ إلى مَطْرةٍ ... تغسل عنه وَضَرَ الزيت [١]

فأجابه « محمد بن عبد الملك» :

رقِيتَ فى القول إلى خُطَّةٍ ... قَدْرَكَ فيها قد تعدَّيتْ

قَيَّرتُم الملك فلم نُنْفِهِ ... حتى غسلنا القار بالزيت [٢]

وقال [٣] « حبيب بن أوس » يمدحه ويصف قلمه :

لك القلم الأعلى الذى بشباته . تصاب من الأمر الكلى والمفاصل [٤] .

٨٤- وكان « محمد » من ألطف الناس ذهنًا ، وأرقّهم طبعًا ، وأصدقهم حسًا ، وأرشقهم قلمًا ، وأملحهم إشارة ، إذا قال أصاب . وإذا كتب

---

(١) انظر ديوان على بن الجهم : ١٢٠ ، وفى هامشه الخلاف حول نسبة البيتين .

(٢) ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات : ١٢ ، برواية مختلفة ، وقيرتم الملك : طلوتموه بالقار .

(٣) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٩١ « ومدحه » .

(٤) انظر ديوان أبى تمام (بشرح الخطيب التبريزى) : ١٢٢/٣ ، وعيون الأخبار : ٤٨/١ ، وديوان المعانى : ٧٨/٢ ، والعقد الفريد : ١٧٩/٢ ، ونهاية الأرب : ٢٥/٧ ، وأدب الكتاب : ٧٥ ، وزهر الآداب : ٤٣٣/١ ، وصبح الأعشى : ٤٤٨/٢ ، ومعنى بشباته : بحده .

أبلغ، وإذا شعر أحسن [1] ، وإذا اختصر أغنى عن الإطاله : أمره «الواثق » أن يتلطف « بعبد الله بن طاهر » ، ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم ، وفوض ذلك لابن عمه « إسحاق بن إبراهيم » ، فكتب: « أما بعد ، فإن أمير المومنين رأى أن يخلع ما فى يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعلَهُ فى شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ».

٨٥- و « لسهل بن بركة » يهجو « أبا نوح النصرانى الكاتب » ، فقال :

بأبى وأمى ضاعت الأحلامُ [2] أم ضاعت الأذهان والأفهامُ ؟

مَنْ صدَّ عن دين النبى محمد آلَهُ بأمر المسلمين قيامُ ؟

(٣٤٧-ب) إلا تكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلامُ

٨٦- قال « عبد الرحمن بن كيسان » : « استعمال القلم [3] أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام»[4].

---

(١) إذا شعر أحسن : إذا كتب شعرًا أجاد .

(٢) الأحلام : العقول .

(٣) فى رسائل البلغاء : ١٩١ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٩/٤ « الكلام» وصحح ذلك الدكتور: زكى مبارك فى تحقيقه للرسالة العذراء : ٤٤ بـ «القلم» ، معتمدًا فى ذلك على البيان والتبيين : ٨٠/١ ، وهذا التصحيح هو الموجود بالأصل المخطوط .

(٤) انظر : البيان والتبيين : ٨٠/١

البلاغـة ومـاهيتها [1]

٨٧- ولم يُخْـتَلَف فـى شـرف القلم . وإنما اخـتلف فى كـيـفـيـة البـلاغـة وماهيتها، وقد مدحها كل قوم بأوضح عباراتهم وأحسن بيانهم.

٨٨- فـقـال « صـاحـب اليـونـانيين » : البـلاغة تصـحيح الأقسـام ، واخـتيـار الكلام [2] .

٨٩- (وقال) « الرومى » : البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة [3] .

٩٠- (وقال) « الفارسى » : هى معرفة الفصل من الوصل [4] .

٩١- و(قـال) « الهندىُّ » : هى البصر بالحُجَّة ، و المعرفة بمواقع الفرصة، ثم أن تدع الإفـصـاح بهـا إلى الكناية عنهـا ، إذا كـان الإفـصـاح أوعـر طريقًا، وربما كان الإطراق عنها أبلغ فى الدَّرَك وأحقَّ بالظَّفَرِ [5] .

٩٢- و(قال) غيره : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القـول ، وقلة الخَـرَقِ [6] بما التـبس من المعـانى وغَـمُضَ ، وبما شَـرَدَ

(١) هذا العنوان من هامش المخطوط الأصلى

(٢) انظر : البيان والتبيين : ٨٨/١ ، وزهر الآداب : ١١٨/١

(٣) فى البيان والتبيين : ٨٨/١ ، وزهر الآداب : ١١٨/١ (للهندى)

(٤) فى البيان والتبيين : ٨٨/١ ، ونهاية الأرب : ٧/٧ (لبعضهم) وزهر الآداب : ١١٨/١

(٥) انظر : البيان والتبيين : ٨٨/١

(٦) فى رسائل البلغاء : ١٩١ ، والرسالة العذراء : ٤٥ .و «قلة الحِذْقِ » ، وفى جمهرة رسائل العـرب : ٢٠٩/٤ « والحـذق » ، ومـا دونتـه من الأصل المخطوط ، وتؤكده رواية : البيـان والتبيين : ٨٨/١

عليك من اللفظ وتعذر ، ثم قال : وَزَينُ ذلك كله وبهاؤه، وحلاوته (وسناؤه) [1] أن تكون الشمائل معتدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السِّنُّ والسمت ، [2] والجمال وطول الصمت ، فقد تم كلَّ التمام [3] .

٩٣- وقيل « لهندى » ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم ، فيها: أولُ البلاغة اجتماع آلةِ البلاغة ، وذلك أن يكون رابط الجأش [4]، ساكن الجوارح ، قليل اللَّحْظِ ، متخيَّر اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السُّوقة ، ويكون فى قواه فضل للتصرُّف فى كل طبقة (٣٤٨-أ) ولا يدقق المعانى كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح (ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب) [5] ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفًا حكيمًا عليمًا ، ومن قد تعود حذف فضل الكلام ، وأسقط مشترك اللفظ[6] .

---

(١) زيادة من : البيان والتبيين : ٨٩/١ ، وجمهرة رسائل العرب: ٢٠٩/٤

(٢) السمت : هيئة أهل الخير .

(٣) انظر : البيان والتبيين : ٨٩/١

(٤) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٩٢ « ويصعبها كل التصعبة ويهذبها غاية التهذيب » وما دونته من : البيان والتبيين : ٩٢/١ ، وزهر الآداب ١٠٤/١

(٦) انظر : البيان والتبيين : ٢٩/١ ، وكتاب الصناعتين : ٢٥- ٢٦ ، وزهر الآداب ١٠٤/١ ، وعيون : ١٧٣/٢ .

٩٤- (وقال) « أنو شروان» « لبزرجمهر» : متى يكون العيىُّ بليغًا ؟ فقال: إذا وصف بليغًا [١] .

٩٥- (وقال) « أرسطاطاليس : البلاغة حسن الاستعارة.

٩٦- (وقال) « بشر بن خالد» : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير [٢] .

٩٧- (وقال) « خالد بن صفوان » : ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى ، والقرع بالحجة.

٩٨- (وقال) « عمر بن عبد العزيز » : البليغ من إذا وجد كثيرًا ملأه ، وإذا وجد قليلاً كفاه.

٩٩- (وقال) « ابن عتبة » [٣] : البلاغة دنو المآخذ ، وقرع الحجة ، والاستغناء بالقليل عن الكثير.

١٠٠- (وقال) بعضهم : إنى لأكره لإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه [٤] .

---

(١) فى عيون الأخبار : ١٧٥/٢ « ... إذا وصف حبيبًا »

(٢) انظر : كتاب الصناعتين : ٣٥ ، وزهر الآداب : ١١٦/١ (لأعرابى)

(٣) هو : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى ، أبو عبد الله ، مفتى المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة فيها ، من أعلام التابعين ، كان ثقة عالمًا فقيهًا كثير الحديث والعلم بالشعر ، توفى سنة ٩٨هـ ، الأعلام : ١٩٥/٤

(٤) فى البيان والتبيين : ٥٨١ (لمحمد بن على بن عبد الله بن عباس)

١٠١- (وقال إبراهيم بن محمد بن العباس) : يكفى كم من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يُؤْتَى الناطق من سوء فهم السامع [١] .

١٠٢- (وقيل لـ) « عمرو بن عبيد) [٢] : ما البلاغة ؟ فقال : ما بلَّغك الجنة، وعدل بك عن النار، وما بصَّرك بمواقع رشدك ، وعواقب غيِّك. فقال السائل [٣] : ليس هذا أريد ، فقال : من لا يحسن أن يسكت لم يُحْسِنْ أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول؛ قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إنَّا معاشر الأنبياء بكاءون » [٤] (٣٤٨-ب) وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوايخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت ، ومن سقطات الصمت ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال، فكأنك إنما تريد تخيُّرَ اللفظ فى

---

(١) انظر : البيان والتبيين ٨٧/١ ، وزهر الآداب : ١١٧/١ ، ونهاية الأرب : ٧/٧ .

(٢) هو : عمرو بن عبيد بن باب التيمى بالولاء ، أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره، ومفتيها ، وأحد الزهاد المشهورين ، اشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسى وغيره ، توفى سنة ١٤٤ هـ ، ورثاه المنصور ، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه!! الأعلام: ٨١/٥

(٣) فى زهر الآداب : ١٠٢/١ « هو : حفص بن سالم »

(٤) لم أقف على هذا الحديث ، والبكاءون : قليلو الكلام

حسن إفهام (قال : نعم ، قال:)[1] إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المكلَّفين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين، بالألفاظ المسْتحَسنةِ فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة فى سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة (الناطقة عن)[2] الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت (الحكمة و)[3] فصل الخطاب، واستوجبت من الله ـ سبحانه ـ جزيل الثواب[4] .

١٠٣- (وقال) « الخليل بن أحمد » : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبْقًا ، ولتلك الحال وفقًا ، وآخر كلامك لأوله مشابهًا ، وموارِدُه لمصادره موازنًا ، فافعل، واحْرِصْ إن تكون لكلامك متَّهمًا وإن ظَرُفَ ، ولنظامك مستريبًا وإنْ لَطُفَ ، بمواتاة آلتك لك ، وتصرُّف إرادتك معك ، فافعل إن شاء الله.

---

(١) زيادة من : البيان والتبيين : ١١٤/١ .

(٢) بالأصل المخطوط ، والرسالة العذراء : ٤٨ ، وزهر الآداب : ١٠٢/١ « بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة » .

(٣) زيادة من زهر الآداب : ١٠٢/١ .

(٤) انظر : البيان والتبيين : ١١٤/١ ، وعيون الأخبار : ١٧٠/٢ - ١٧١ ، وزهر الآداب : ١٠٢/١، ونهاية الأرب : ٧/٧ .

* خاتمة الرسالة *

١٠٤- وهذه الرسالة عذراء ؛ لأنها بِكْرُ معانٍ لم تَفْتَرِعْهَا بلاغة الناطقين، ولا لمستها أكف المفَوَّهين ، ولا غاصت عليها فِطَنُ المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ؛ فاجعلها مثالاً بين عينيك ، ومصوَّرة بين يديك ، ومسامرة لك فى ليلك ونهارك ، تهطُل عليك شآبيب منافعها ، ويُظِلَّك منها بركاتها ، وتوردُك مناهل بلاعاتها ، وتدلك على مَهْيَعِ رشدها ، وتُصْدرك وقد نُقع (٣٤٩-أ) ظمؤك بينابيع بحر إحسانها ، إن شاء الله - عز وجل - ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.